سعد الدين الشاذلي ودورة العسكري خلال حرب تشرين عام١٩٧٣

أ.م.د. عبد الكريم حسين الشباني كتاب غالي جبار الجبوري

جامعة القادسية/ كلية التربية

الخلاصة

يعد سعد الدين الشاذلي واحداً من الشخصيات العسكرية المهمة التي برزت في مصر خلال الحقبة التي تلت ثورة يوليو –تموز ١٩٥٢وحتى حرب تشرين أول ١٩٧٣ , إذ بدأت شهرته كواحد من الضباط الكفؤين خصوصاً عندما تمكنت المجموعة التي يقودها والتي عرفت باسم (مجموعة الشاذلي) من عبور الحدود الدولية باتجاه فلسطين في قرار خطير أتخذه سعد الشاذلي أثناء حرب حزيران عام ١٩٦٧حين أنقطعت الاتصالات بينه وبين القيادة المصرية بسبب التراجع المصري والانسحاب الغير منظم على اثر الضربات الإسرائيلية , ونتيجة لمهارته العسكرية تم اختياره من قبل السادات لمنصب رئيس أركان الجيش المصري عام ١٩٧١ حيث تخطى بذلك العديد من الضباط الأقدم منه رتبة , ووضع الخطة العسكرية المعروفة بـ (المآذن العالية) و تتضمن عبور قناة السويس وتدمير القوات الإسرائيلية والتي نفُذت بالفعل خلال الحرب وتمكنت فيها القوات المصرية من استعادة قناة السويس وتحطيم نظرية الأمن القومي الإسرائيلي وقد اختلف الشاذلي مع وزير الدفاع احمد إسماعيل والرئيس السادات حول كيفية مواجهة الثغرة العسكرية في نهاية الحرب التي تمكنت القوات الإسرائيلية من أحداثها حين قامت بحركة التفاف واسعة خلف القوات المصرية , الأمر الذي أدى إلى تداعيات عسكرية خطيرة كان من نتائجها إعلان مصر قبول وقف أطلاق النار وإعفاء سعد الشاذلي من منصبه .

Conclusion

The Saad El Shazly one of the military figures task that emerged in Egypt during the period that followed the revolution of July to July and even war October ١٩٧٣, it began to fame as one of the officers Competent especially when managed group led by and known as the (group shazli) from crossing the border International direction of Palestine in a serious decision taken by Saad El Shazly during the Six-Day War in ١٩٦٧, when the cut off communication between him and the Egyptian leadership because of the decline of Egypt and the withdrawal unregulated on the impact of Israeli strikes, and as a result of his skill military was chosen by Sadat to the position of chief of staff of the Egyptian army in ١٩٧١, where skip this Many officers older than rank, and put the military plan known as (minarets high) and include cross the Suez Canal and the destruction of Israeli forces, which have already been implemented during the war and managed by the Egyptian forces to restore the Suez Canal and the destruction of the theory of Israel's national security, have disagreed shazli with Defense Minister Ahmed Ismail and President Sadat on how to confront the gap military at the end of the war, which has managed the Israeli forces from events while the movement wrap wide behind the Egyptian forces, which led to the repercussions of serious military was the results announcement Egypt to accept a cease-fire and the exemption Saad shazli from office.

المقدمة

إنَّ دراسة دور الفريق سعد الشاذلي ومراحل حياته لايمكن تناولها بمعزل عن دراسة حقبة حكم السادات وذلك للترابط الوثيق بين دور الشاذلي العسكري وعلاقته بالمؤسسة العسكرية التي يعد أبرز وجوهها بعد عام ١٩٧١ ، وهي

المدة التي كان السادات يشغل خلالها رئاسة مصر للفتره من ١٩٧٠حتى عام ١٩٨١ وخاضت تحت قيادته أبرز حروبها المعاصرة مع الكيان الصهيوني، وأدَّت إلى خلافات واسعة داخل المنظومة العسكرية والسياسية في البلاد، تمثلت في احد وجوهها بالخلاف العميق بين رئيس أركان الجيش سعد الشاذلي ووزير الدفاع احمد إسماعيل ، ثم مع الرئيس السادات نفسه، الأمر الذي أفضى إلى عزله وإبعاده عن المؤسسة العسكرية تماما .

ولد سعد الدين الشاذلي عام ١٩٢٢ في قرية (شبراتنا) في محافظة الغربية بصعيد مصر وأكمل دراسته الابتدائية فيها عام ١٩٣٣ثم انتقل مع عائلته إلى القاهرة لأكمال دراسته الثانوية , وبعدها التحق بالكلية العسكرية وتخرج منها عام ١٩٤٠ برتبة ملازم[١]. ولأنه ينتمي لعائلة برجوازية فقد انضم إلى سرية الحرس الملكي المكلفة بحماية الملك بعد انتدابه من الجيش عام ١٩٤٣ وأستمر حتى عام ١٩٤٨ حينما تطوع للقتال في فلسطين الى جانب القوات العربية التي شاركت في أول حرب ضد الكيان الصهيوني[٢]. كما أنضم الشاذلي لتنظيم الضباط الأحرار حينما التقى مع جمال عبد الناصر قبل الثورة بعام واحد وكان حينها في مدرسة الشؤون العسكرية , وحظي بشهرة واسعة في الأوساط العسكرية لاسيما عندما شارك في دورة تدريبية في الولايات المتحدة أسس بعدها سلاح المظلات والصاعقة المصرية عام ١٩٥٤ والتي أسهمت بشكل مباشر في الحروب المصرية التالية سواء في صد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ أو حرب الاستنزاف ١٩٦٨, وقد اثبت الشاذلي جدرانه العسكرية حين أصبح قائد لمنطقة البحر الأحمر التي كانت على تماس مباشر مع إسرائيل وتشهد غارات ومعارك متقطعة تقوم بها القوات الإسرائيلية, وأستمر الشاذلي فيها حتى أعلنت مبادرة روجرز التي نصت على وقف إطلاق النار[٣].وقد أشتمل البحث على مقدمه وثلاثة محاور وخاتمة, تناول المحور الأول اختيار الشاذلي رئيساً لأركان الجيش ضمن حزمة من التغييرات السياسية والعسكرية التي رافقت وصول السادات للحكم , وتطرق المحور الثاني لحرب تشرين ودورة فيها وابرز تداعياتها العسكرية وجاء المحور الثالث لبيان نتائج الحرب وماترتب عليها من خلافات أدت بالنتيجة إلى عزل سعد الشاذلي وإبعاده من المؤسسة العسكرية.

تعيين الشاذلي رئيساً لأركان الجيش

شَهدَ العام ١٩٧١ سلسلة من التغيرات السياسية والعسكرية في مصر بعد إقصاء السادات لمراكز القوى الناصرية التي كانت على علاقة متميزة مع الاتحاد السوفيتي[٤], وقد أفرزت سياسة السادات في تعامله مع القوات المسلحة إتجاهين رئيسيين,الأول إنصب على ضرورة بناء الجيش وتطوير قدراته الذاتية بما يمكنه من تحرير الأرض واسترداد الحقوق, وذلك من خلال الضباط الأكفاء المحترفين الذين لا يدينون بالولاء إلا لمهنتهم العسكرية[٥], والاتجاه الثاني هو رغبته الجادة والمستمرة لإبقاء الجيش تحت سيطرته من خلال إيجاد قيادات تختلف في انسجامها ورؤيتها للتعامل مع المرحلة ليضمن بذلك الرجوع إليه في اتخاذ القرارات المهمة ويكون له الأمر الفصل في ترجيح هذا القرار أو ذاك[٦].

لقد التقت عبقرية السادات ومقدرته السياسية مع مهنية الشاذلي والتزامه العسكري حيث قام باستدعائه من منطقة البحر الأحمر التي أمضى فيها العام الأخير من حرب الاستنزاف وأبلى بلاءا حسنا في ابتكار الأساليب والخطط (التكتيكية) لمواجه العدو, وعينه رئيسا لأركان الجيش متخطيا بذلك العشرات من الضباط الذين يسبقونه في الأقدمية والاستحقاق[٧].ولعل احد أسباب اختيار السادات للشاذلي هو موقفة في اجتماع القوات المسلحة في

١٨نيسان ١٩٧١ حول مشروع إتحاد الجمهوريات العربية المتحدة , فبعد المعارضة الواسعة التي أظهرها علي صبري ومجموعته ضد المشروع وأيدها وزير الدفاع وقادة الجيش وكانت موجهه ضد السادات كما يبدو إلا أن الشاذلي وخلاف الآخرين عندما طلب رأيه في الموضوع فأنه أيد الاتحاد بقوه ودافع عنه وراح يسوق المبررات لهذا التأييد فيقول ((أذا لم يكن هناك نفع لمصر من هذا الاتحاد فانه ليس هناك أي غرم ولذلك فاني أباركه))[٨].ولم ينسى السادات هذا الموقف خصوصا وانه في هذه المدة لم يكن يملك الصلاحيات الواسعة لان السلطة حينها كانت في أيدي اللجنة المركزية للإتحاد الاشتراكي وهي التي رفضت الاتحاد, لكن الشاذلي أيدهُ وأن تصرفه هذا كان نابعاً من الواقع المبدئي والقناعة الشخصية كما يقول[٩], وقد إستدعى الرئيس أنور السادات كلاً من محمد صادق وسعد الدين الشاذلي إلى منزله في الجيزة وجرى بينهما لقاء ودي أستمر لساعتين متواصلتين أشاد خلاله بجهودهما وأنه يثق بهما جدا حيث عين الأول وزيرا للدفاع خلفاً لمحمد فوزي الذي قدم أستقالتة ضمن الاستقالة الجماعية يوم ١٣ ايار ١٩٧١, وكلف سعد الشاذلي ليكون رئيسا لأركان الجيش[١٠].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن منصب رئاسة أركان الجيش قد تولى قيادته خلال المدة التي تلت حرب حزيران ١٩٦٧وحتى تشرين الأول ١٩٧١ أربعة ضباط هم الفريق عبد المنعم رياض حيث تولى هذا المنصب في ١٢حزيران ١٩٦٧ حتى استشهد في ٩ مارس ١٩٦٩خلال حرب الاستنزاف, ليخلفه احمد إسماعيل رئيسا لأركان الجيش حتى أقيل بعد الغاره الإسرائيلية على منطقة الزعفرانه في خليج السويس عام ١٩٦٩[١١], وتولى بعده هذا المنصب الفريق محمد صادق حيث أمضى فيه عشرين شهرا حتى قدم إستقالته في ١٣ أيار ١٩٧١, أعقبه اللواء سعد الدين الشاذلي خلفا له , وهؤلاء بلا شك هم المسؤولين طوال ألمده مابين الحربين عن وضع الأسس والتوجيهات لهيئة العمليات , وأعداد الخطط والتدريب لأستعادة الأراضي المحتلة بالتعاون مع القيادة السياسية[١٢].

باشر سعد الدين الشاذلي فور تسنمه منصبة الجديد بدراسة إمكانية القوات المسلحة الفعلية ومقارنتها بالمعلومات المتيسرة عن الجيش الإسرائيلي بهدف الوصول إلى خطة تتماشى مع الإمكانيات الفعلية للقوات المصرية, وأدرك أن القوه الجوية ضعيفة إذا ماقورنت بإسرائيل، لكن هناك منظومة دفاع جوي جيدة مع وجود حالة من التوازن في القوات البرية وقد يكون هناك تفوق مصري في هذا الجانب[١٣], في ذات الوقت أدرك أن الاهتمام المصــري في هذه المرحلــة ينصب على ضرورة تطوير قدرات الجيش المصري وإعداد الخطط الكفيلة بعبور قناة السويس وقد وضعت أولى الخطط العسكرية في هذا المجال على عهد الرئيس جمال عبد الناصر, وهي (الخطة ٢٠٠) التي كانت تركز على الجانب الدفاعي طبقا للستراتيجية المصرية آنذاك, على أن هناك خطة تعرضيه أخرى ذكرها سعد الشاذلي تشمل القيام ببعض الغارات التعرضيه على مواقع العدو في سيناء وهي خطة لا يمكن أن يطلق عليها هجومية لمحدودية أهدافها وعدم توفر الأسلحة اللازمة لتنفيذها وتسمى (ألخطه جرانيت)[١٤].

إن تتبع الإستراتيجية العسكرية للقيادة المصرية منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ يمكن أدراجها في إطار تحقيق هدفين رئيسيين أولهما إزالة آثار العدوان كما سماها الرئيس عبد الناصر بما يحمله هذا الهدف من جوانب سياسية وعسكرية واقتصادية, والثاني هو العمل سياسيا على محاصرة إسرائيل, وإجبارها على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة, والاحتفاظ بالجهد العسكري لمواجهة أي تطورات محتملة قد تقوم بها إسرائيل[١٥].

ولم تُثمر تلك الجهود بفعل الغطرسة الإسرائيلية التي ظلت تتبجح بانتصارها الكاسح في حزيران, وضعف التسليح المصري وتلكؤ الاتحاد السوفيتي في الإيفاء بعقود السلاح حتى اشتكى الرئيس السادات مرارا وتكرارا من

التعامل السوفيتي معه في هذا المجال[١٦]. الأمر الذي قاد إلى تغيير كبير في الإستراتيجية العسكرية المصرية خصوصا مع تولي سعد الشاذلي لرئاسة أركان الجيش حيث تقاربت أفكارة مع رغبة الرئيس السادات في ضرورة تحريك الموقف العسكري من حالة الجمود إلى المبادرة بهجوم محدود وفق إمكانات القوات المسلحة من خلال العمل على عبور قناة السويس والوقوف بعدها , ليترك بعد ذلك الموقف للحلول السياسية بعد أن تأخذ مصر زمام المبادرة[١٧].

ويرى بعض الباحثين أن الخطط التي وضعتها المؤسسة العسكرية المصرية هي عبارة عن مشروعات تعبوية بدون جنود الغرض منها هو تدريب أعضاء القيادة ألعامه للقوات المسلحة بفروعها المختلفة على دور كل منهم في الخطة الهجومية , وكانت هذه الخطط تغير باستمرار, وهي تتماشى مع الطبيعة الدفاعية التي تؤمن بها مصر طوال حروبها مع إسرائيل[١٨], وقد كانت أول خطة هجومية واضحة المعالم وضعت للقوات ألمسلحه هي خطة (المآذن العالية)[١٩]التي وضعها الفريق سعد الدين الشاذلي, فبعد الانتهاء من تجهيز الوثائق الخاصة بها كان من المفترض أن يطلق عليها اسماً(كودياً) وبينما هو يناقش ذلك مع رئيس هيئة العمليات سمعا صوت المؤذن لصلاة العصر فقرراً أن يطلقا على الخطة أسم المآذن العالية[٢٠] وتمحور الهدف النهائي لهذه الخطة على عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف الحصين [٢١], وإقامة مجموعة من الجسور لغرض عبور القوات المدرعة وإنشاء نقاط دفاع محكمة على بعد ١٢–١٥ كم شرق القناة في محاولة لتحدي نظرية الأمن الإسرائيلية وكسر حاجز التفوق الإسرائيلي القائم على التخويف والغطرسة[٢٢].

وفي السادس من حزيران ١٩٧٢ عندما عقد اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة وحضره السادات , كانت لازالت هناك ثلاث طروحات أو نظريات حول تحرير سيناء والأراضي المحتلة , الأولى تقضي بتدمير قوات العدو في سيناء وقطاع غزه في عملية واحدة شريطة أن تحصل مصر على الإمدادات اللازمة من الاتحاد السوفيتي لتنفيذها[٢٣]. والثانية تتطلب الانتظار حتى تتكافأ موازين القوى, والنظرية أو الخطة الأخيرة التي يؤمن بها وطرحها الفريق سعد الدين الشاذلي تتلخص في القيام بعملية هجومية محدودة لأقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف , واتخاذ أوضاع دفاعية على مسافة تتراوح مابين ١٢–١٥ كم, وبعد أتمام هذه العملية يمكن التحضير لمرحلة ثانية في وقت لاحق[٢٤], وقد بنى الشاذلي خطته على أساس أن لإسرائيل نقطتي ضعف , الأولى هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرًا لقلة عدد سكانها ، والثانية هو إطالة مدة الحرب ، فهي في كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أو ستة أسابيع على الأكثر لأنها خلال هذه المدة تقوم بتعبئة نسبة عالية من سكانها تصل إلى ١٨% فتصبح الحياة لديها شبة مشلولة في كل القطاعات الحيوية والاقتصادية لأن معظم أفرادها سيذهبون للقتال, ولذلك ركزت الخطة على استغلال هاتين النقطتين[٢٥].وهناك بعدان آخران على صعيد حرمان إسرائيل من أهم مزاياها القتالية يقول عنهما الشاذلي ((عندما أعبر القناة وأحتل مسافة بعمق ١٠–١٢كم شرق القناة على طول الجبهة البالغة (١٧٠) كم سأحرم العدو من أهم ميزتين له, فالميزة الأولى تكمن في حرمانه الهجوم من الأجناب لأن الجيش المصري سيكون مستندا من الشمال إلى البحر المتوسط ومن الجنوب إلى خليج السويس , ومن المؤخرة قناة السويس ولن يكون أمام العدو سوى الهجوم بالمواجهة وعندها سيدفع ثمنا باهضاً))[٢٦].

وعن الميزة الثانية قال الشاذلي)) يتمتع العدو بميزة مهمة في المعارك التصادمية ، وهي الدعم الجوي السريع للعناصر المدرعة التابعة له، حيث تتيح العقيدة القتالية الغربية التي تعمل إسرائيل بمقتضاها للمستويات الصغرى من القادة بالاستعانة بالدعم الجوي وهو ما سيفقده لأن القوات المصرية في حماية الدفاع الجوي المصري، ومن هنا تتم عملية تحييد الطيران الإسرائيلي من المعركة)) [٢٧]. لكن هذه الخطة كانت تصطدم بطبيعة الحال مع رؤية القيادة السورية للمعركة فهي قادرة على حماية القوات المصرية من خلال حائط الصواريخ , بينما كان السوريون يريدون استعادة كامل هضبة الجولان التي لاتوجد فيها موانع طبيعية فهي لا تتجاوز في عمقها عشرين كم ومن المنتظر أن يتم تحريرها في يومين من القتال[٢٨] .

●بداية الحرب

في الخامس من أكتوبر– تشرين الأول ١٩٧٣ أصدرَ الرئيس أنور السادات بوصفة القائد الأعلى للقوات المسلحة توجيهاً استراتيجياً إلى الفريق أول احمد إسماعيل وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة. تضمن مايلي:–

بناءاً على الظروف المحيطة بالموقف السياسي والإستراتيجي قررت أن أكلف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الستراتيجية الآتية:–

أولا– إزالة الجمود العسكري الحالي بكسر وقف أطلاق النار اعتبارا من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

ثانيا– تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة في الأفراد والأرواح والمعدات.

ثالثا– العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب تطور ونمو قدرات وإمكانات القوات المسلحة.

تنفيذ المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات السورية[٢٩].

في نفس اليوم زارَ الفريق سعد الدين الشاذلي الجبهة ليتأكد من الاستعدادات النهائية لتنفيذ الأمر الإستراتيجي في اليوم التالي حيث التقى مع اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الذي كان يعد كلمة يلقيها على جنوده قبل انطلاق المعركة, وكانت طويلة نوعا ما فأقترح الشاذلي أن تختصر الكلمات بهتاف (الله اكبر)لأن ذلك النداء يبعث القوه في النفوس ويشحذ الهمم خاصةً أثناء القتال , وزود الجيش بمكبرات الصوت لهذا الغرض[٣٠].

ثم أنتقلَ الفريق سعد الدين الشاذلي إلى موقع الجيش الثاني والتقى أيضا قائدة اللواء سعد مأمون الذي أطلعة على جاهزية قواته للمعركة بعد أكمال المستلزمات المطلوبة

حينها عاد الشاذلي إلى المركز رقم عشرة, وهو أكثر شعوراً بأن إسرائيل لم تكتشف بعد التحضيرات للمعركة التي لم يتبقى على بدأها سوى أربع وعشرين ساعة فقط[٣١].

لقد كانت خطة التمويه السياسي والإعلامي قد نجحت في خداع الإسرائيليين عن اكتشاف النوايا الحقيقية للتحركات العسكرية, وجاء ذلك على لسان رئيس الاستخبارات الإسرائيلية عندما قدم للمحاكمة في نهاية الحرب أمام لجنة (أجرانات)[٣٢] رغم أنه أَبلغ رئيسة الوزراء جولدا مائير لكنها لم تكن قد أخذت تحذيره على محمل الجد[٣٣], كما أن الرئيس الأمريكي نيكسون أيضاً يؤكد في مذكراته هذه الحقيقة بالقول ((كانت خيبة أمل كبيرة من السي آي أي وكذلك من المخابرات الإسرائيلية التي كنا نظن أنها ممتازه, فلم نعرف أن مصر ستشُن حرباً ضد إسرائيل , ولم أَبلغ بالحرب ألا قبل ساعات من حدوثها))[٣٤].

أن إسرائيل نفسها قد تعرضت لصدمة كبيرة ليس من الحرب فقط, وإنما بالمفاجئة التي لم تكن متوقعة , فحتى صباح يوم ٦ تشرين أول لم تعلن التعبئة ألعامه في إسرائيل حيث يقول موشي دايان (رغم رصد التحركات العربية إلا

أني لم أكن على قناعة تامة بوقوع الحرب[٣٥]. وسط هذه السرية أنطلقت في الساعة الثانية عصرَ يوم السبت السادس من أكتوبر – تشرين أول ١٩٧٣ أكثر من (٢٢٠) طائره مصرية مقاتلة إلى أعماق سيناء لتدك المطارات والمعسكرات الإسرائيلية في المليز وتماده والقاعدة الجوية في العريش, فضلا عن مراكز القيادة والإنذار, وأحالتها إلى ركام وأنقاض, في الوقت ذاته كان الهجوم السوري الكاسح يدمر مواقع الدبابات, وخنادق الجيش الإسرائيلي في هضبة الجولان على الجبهة الشرقية[٣٦].

لقد كان أكثر من أربعة آلاف مدفع بعيد المدى وقوات الصواريخ والأسلحة المختلفة قد أطلقت نيرانها لتشكل مظلة هائلة من النيران لحماية عشرات الآلاف من المقاتلين الذين تدفقوا لعبور القناة بعد إقامة الجسور ونصب المعاب, ولم تمض سوى ساعات حتى صار أكثر من ثمانين ألف مقاتل على الضفة الأخرى للقناة ليتواصل بعدها عبور الدبابات والمدرعات الثقيلة, وتسقط الاستحكامات الإسرائيلية على خط بارليف الذي رفع فوقه الجنود المصرين العلم المصري وسط هتافات (الله أكبر)المدوية[٣٧].

نَجَحت القوات المصرية في عبور القناة بوقت قياسي , وشَلّت حركة المقاومة الإسرائيليـــة تماما فالضربة الجوية الأولى قد نجحت بنسبة تفوق التسعين بالمائة في تحقيق أهدافها, الأمر الذي أدى إلى إلغاء الضربة الثانية المقرره بعد مرور عشرين دقيقة, وتفرغت القوه الجوية لمواجهة الطيران الإسرائيلي وتوفير الغطاء الجوي للقوات المصرية التي بدأت تأخذ مواقعها خلف القناة[٣٨], ولم يكن نجاح الجبهة السورية أقل من نظيرتها على الجانب المصري فقد استغلت القوات البرية السورية عنصر المفاجأة في التغلب على الخنادق الإسرائيلية للدبابات وراحت تتقدم بسرعة كبيره , ولم يفلح الهجوم الإسرائيلي المضاد في إيقافها, وهي تتقدم بمحورين[٣٩] حتى تمكنوا من قطع طريق الإمداد الإسرائيلي الرئيس قرب جسر بنات يعقوب وحدود منطقة وادي الأردن, وواصلوا تقدمهم باتجاه جبل الشيخ من خلال أنزال قوات اشتبكت بالسلاح الأبيض مع نقاط الحراسة على الأبراج, وحققوا انجازات كبيره خلال الثلاثة أيام الأولى[٤٠].لقد حققت الحرب مفاجئة كبيرة أثارت الرأي العام العالمي حيث أشادت الصحف العالمية في حينها بالقدرات العسكرية العربية, فأنهم فاجئوا العالم بقدرات جديدة, وكفاءة عالية في استخدام الاسلحة الحديثة فضلا عن استبسالهم وشجاعتهم في تحقيق أهدافهم المشروعة[٤١].

وتطورَ المشهد العسكري على الجبهة بتراجعٍ إسرائيلي واضح, فبدأت الولايات المتحدة في الثالث عشر من تشرين أول بإرسال كميات كبيره من الأسلحة بشكل علني عبر جسر جوي من قواعد أمريكية إلى إسرائيل مباشرة حتى أنها بدأت تفكر في التدخل كأجراء احترازي لمواجهة التقدم العربي الذي أصبح حقيقة بعد أن تحطمت نظرية الأمن الإسرائيلية بسقوط خط بارليف وتدمير مواقعه الحصينة[٤٢]. والواقع أن مجرى الحرب بدأ يتغير اعتباراً من يوم ٨ تشرين أول حيث توقفت القوات المصرية عن التقدم بعد إقامة تحصيناتها على عمق عشر كيلو مترات شرق القناة, وبدأت باتخاذ مواضع دفاعية وتوسيع رؤوس الجسور وسد الثغرات فيما بينها[٤٣] الأمر الذي أتاح للقوات الإسرائيلية من تركيز قواتها على الجبهة السورية حيث قامت طائراتهم بتوجيه غاراتها المركزة على المدرعات السورية مما اضطرها إلى إيقاف الهجوم, واتخاذ وضع دفاعي أمام التفوق الجوي للعدو على أمل أن يبدأ المصريون بالهجوم لتخفيف الضغط على الجبهة السورية ومنعة من الانفراد بها[٤٤].

تطوير الهجوم ومعارضة سعد الشاذلي

نتيجة لقرار وزارة الحرب الإسرائيلية بتركيز المجهود الرئيسي ضد سوريا بدأت القيادة الجوية الإسرائيلية بتكثيف غاراتها على أهداف إستراتيجية في أعماق سوريا وركزت على مواقع حيوية في دمشق, فهاجمت مبنى وزارة الدفاع ومحطة الإذاعة السورية, ومبنى ألقياده العامة وأصابت القنابل الأحياء السكنية المجاورة في محاولة للضغط على سوريا وإجبارها على الخروج من الحرب, وبالتالي إخضاعها لشروط الاستسلام الإسرائيلية[٤٥].

وفي محاولة لتخفيف الضغط على الجبهة السورية قررت القيادة المصرية تطوير هجومها البري عبر سيناء للوصول إلى منطقة المضائق وممرات متلا على الحدود الشرقية لسيناء, الأمر الذي عارضة سعد الشاذلي لكونه سيؤدي إلى خسائر كبيره بسبب التفوق الجوي لإسرائيل ولكن القرار كان سياسياً ولابد من تنفيذه, إذ أنطلق الهجوم المصري في الساعة السادسة والنصف صباح يوم ١٤ تشرين أول على أربعة محاور رئيسية, وكان واضحاً منذ البداية أن القوات الإسرائيلية مستعدة تماماً , ومزودة بمعلومات مسبقة عن الهجوم واتجاهاته الأساسية فقد حشدت تسعمائة دبابة وعدد من الفرق المدرعة والمشاة وكتائب المظلات فضلا عن الصواريخ التي وصلت حديثا عن طريق الجسر الجوي الأمريكي مباشرة إلى مطار العريش[٤٦].وقد فشل الهجوم بعد ساعات قليلة من انطلاقته فقد استطاعت القوات الإسرائيلية من تدمير (٢٥٠) دبابة بمجرد تحركها خارج أطار الحماية الجوية, وتم إسقاط عدد كبير من الطائرات , وصدت الهجوم الذي بدا مشتتا وغير منسق في حركة قطاعاته العسكرية, وفي الساعة الواحدة حضر الرئيس السادات إلى مركز القيادة وكلف الفريق سعد الشاذلي بالتحرك إلى الجبهة لرفع معنويات الجنود والاطلاع على أسباب التراجع[٤٧] وبعد وصوله إلى الخطوط الأمامية تبين له أن اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني قد أصيب بنوبة قلبية وانه يجري نقلة إلى المستشفى وترك القيادة لنائبة , ولدى اتصاله بالقادة الآخرين تبين فشل الهجوم بكل محاورة وعاد الشاذلي إلى مقر القيادة ليلا عارضا واقع الحال أمام الرئيس ووزير الدفاع حيث اصدر السادات أمراً بإيقاف الهجوم وتجميع القوات في أماكنها الأولى[٤٨] كانت اسرائيل تراقب الموقف وقد استعادت زمام المبادرة بعد أن أوقفت الجبهة السورية تماما وصدت الهجوم المصري فقررت أن تقوم بهجوم معاكس طبقا لما طرحه (أريل شارون)[٤٩] قبل أيام, وقد التُقِطت معلومات مؤكدة من طائرة أمريكية كانت تحلق فوق جبهة سيناء واكتشفت وجود ثغرة بين القطعات المصرية يمكن استغلالها في غرب القناة وهي ألفكره التي تبناها شارون وبعض القادة في العبور بقواته المنقولة جواً[٥٠].

•ثغرة الدفرسوار

كانت الحرب تسير لصالح الجبهة العربية حتى يوم ١٢ تشرين أول, وبعد قرار تطوير الهجوم الذي عارضة الفريق سعد الشاذلي بشدة, وكانت معارضته تنطلق من عدة مبررات منها تفوق القوه الجوية لإسرائيل التي ستكون مهيأة لتدمير القوات المصرية حال خروجها من مظلة الصواريخ وهو ما حصل فعلا بعد الهجوم , كما أن الهجوم لن يستطيع الصمود طويلا بسبب طبيعة وطول الجبهة وفقدان المبادرة, فضلا عن وجود قوات كافية لدى إسرائيل في المنطقة لن تجبرهم على تخفيف الضغط على الجبهة السورية[٥١]. لقد بات واضحا أن هجوم ١٤ أكتوبر– تشرين أول هو الذي فتح الطريق إلى تنفيذ عملية الاختراق الإسرائيلية التي فتحت ثغرة الدفرسوار فقد كانت هذه الفكرة مطروحة في الفكر العسكري لدى إسرائيل منذ بداية الحرب, لكن الانتصارات التي حققتها القوات المصرية في الأيام الأولى جعلت القادة الإسرائيليين يشعرون بأن وضع الجيش لا يحتمل مزيدا من الخسائر في هجوم مشكوك في

نجاحه[٥٢]. وبعد فشل الهجوم المصري انطلق شارون في عملية الغزالة ذلك الاسم الذي أطلق على الثغرة من قبل الإسرائيليين حيث قام بإنزال قواته المحمولة جوا في منطقة الدفرسوار خلف الخطوط المصرية, والتي قلبت موازين القتال وكانت سببا مباشرا في قبول السادات بوقف إطلاق النار[٥٣].

لم يكن لدى القيادة المصرية فكره واضحة عن تطوير العمليات أو توقع رد فعل العدو حيث يقول الفريق سعد الشاذلي ((كنا نناقش بالتفصيل خطة المآذن العالية ونمر مرور الكرام على الخطة الخاصة بتطوير الهجوم))[٥٤], وهذا يعني انها كانت مستبعدة تماما حتى تفاجأ بعض الضباط بمواصلة الهجوم يوم ١٤تشرين أول وعدوه قراراً سياسياً خاطئاً وبالتالي لم تتخذ الإجراءات الكافية بعد القرار بدفع الاحتياط الإستراتيجي إلى المعركة الذي أفضى إلى وجود ثغرة أستطاع أن ينفذ من خلالها العدو الإسرائيلي[٥٥]. لقد كانت إسرائيل تهدف من وراء عملية الغزالة كما يطلقون عليها إلى :-

أولاً- إيقاف تطوير الهجوم المصري باتجاه المضائق وعدم التفكير به نهائياً لأن ذلك يعني خنق إسرائيل

ثانياً- أجبار المصرين على سحب قواتهم من شرق القناة إلى الغرب للتعامل مع ألثغره, وعند ذلك يمكن لإسرائيل التعامل مع القوات الباقية, وتصبح إمكانية تدميرها سهلة وممكنة[٥٦].

ولمعالجة ثغرة الدفرسوار التي أحدثها التقدم الإسرائيلي طرح سعد الشاذلي فكرة المناورة بالقوات وذلك بسحب أربعة ألوية من شرق القناة لمعالجة الموقف الخطير في الجبهة الغربية, وهذا الأمر كان سيؤثر على نفسية المقاتل المصري المندفع للقتال بنشوة النصر, لذلك رفض السادات والقيادات العسكرية المتمثلة بوزير الدفاع وهيئة الأركان فكرة سحب القوات من الشرق لاعتبارات عدة منها:-

١- عدم التأثير على نفسية العسكري المصري الذي يشعر بالنصر وبالتالي فهو مندفع للقتال في ظل هذا الشعور الحماسي[٥٧].

٢- إن إصدار أمر ولو جزئي بسحب بعض القوات من الشرق بأتجاه مصر معناه أعطاء انطباع بالتراجع والانكسار, وهو ما تخشى القيادة المصرية أن يتحول إلى فرار الجنود على غرار ما حصل في حرب حزيران١٩٦٧.

فضلا عن ذلك فأن إسرائيل ستستخدم ذلك إعلامياً وسياسياً بأنها أزاحت المصريين وأعادتهم إلى خلف القناة, وعلى الرغم من أن الفريق الشاذلي كان يرى المناورة بالقوات وتحريكها هو أسلوب عسكري وليس تراجع[٥٨], وهو محق في ذلك إلا أن طبيعة الصراع وتراكماته السياسية والإعلامية والشكوك الدولية التي تثار حول قدرة المقاتل المصري على القتال والصمود بوجه إسرائيل, يجعل قرار القيادة المصرية هو الآخر محقا بعدم سحب القوات العسكرية من الشرق, وضرورة التعامل مع الثغرة بما لديها من قدرات عسكرية في الغرب[٥٩].

بدأ الاختراق الإسرائيلي يتسع ويزداد بوصول أعداد أضافية من الدروع والمدفعية إلى الثغرة حيث تمكنت من نصب جسر على القناة بطول ٢٠٠ متر لعبور الدبابات , وقامت بتدمير مواقع الصواريخ وشبكات الإنذار حتى شارفت على الوصول إلى مدينة الإسماعيلية التي كانت أول أهداف الهجوم[٦٠]. سارعت القيادة المصرية إلى عقد مؤتمر القوات المسلحة في ١٦ تشرين أول لتدارس الخطوة التالية بحضور وزير الدفاع احمد إسماعيل ورئيس أركان الجيش وقادة الفرق وجرى الحديث حول تصفية الثغرة واتفق الجميع على هذا الأجراء, لكنهم اختلفوا في تفاصيله وكيفية التنفيذ[٦١].

لقد كانت رؤية الفريق سعد الشاذلي لمعالجة الثغرة تقوم على أساس أعادة الأتزان إلى المواقع الدفاعية وذلك بسحب جزء من القوات المصرية شرق القناة تتضمن فرقة المدرعات ولواء مدرع من الجيش الثالث دون أن يؤثر على توازن المواجهة مع العدو في الخطوط الأمامية, ويتم الهجوم في اليوم التالي من ثلاثة اتجاهات على أن يكون أساس المبادأة من غرب القناة لقطع الإمداد الرئيسي ومحاصرة القوات الإسرائيلية[٦٢], لكن الوزير احمد إسماعيل رفض سحب القوات من الشرق, وان يتم التعامل مع الثغرة بالقوات الموجودة في الغرب وخاصة الفرقة الرابعة المتمركزة قرب ترعة الإسماعيلية وتسد الطريق أمام القوه الإسرائيلية, وان عملية سحب القوات من الشرق قد يؤثر على معنويات الجنود, وقد يفسره العدو على انه ضعف فيزيد من ضغطة على القوات المصرية[٦٣].

ويبدو أن القوه الإسرائيلية التي عبرت في البداية لم تكن كبيرة وكان بالإمكان القضاء عليها بسهولة لدرجة أنها وصفت في إسرائيل بالمغامرة حيث أنها لم تتجاوز ألمائتي جندي بقيادة شارون, وحتى بعد عبور الدبابات فأنة قام بتوزيعها إلى مجموعات صغيرة تتكون من دبابتين ومدرعة للقيام بحرب عصابات خلف الخطوط المصرية وفتح ثغره واسعة في السماء التي تحميها شبكة الصواريخ لتنفذ من خلالها الطائرات الإسرائيلية[٦٤]. بيد أن الرئيس السادات ألقى باللوم على رئيس أركان الجيش بأنه لم يتعامل مع الثغرة بالسرعة اللازمة بعد أرسالة يوم ١٦ أكتوبر – تشرين أول إلى الجبهة ((حيث أمضى ليلة كاملة في جمع المعلومات , وإنشاء قياده ينافس فيها غريمه الفريق احمد إسماعيل, وفي يوم ١٩عاد إلى القيادة منهارا وطالب بسحب القوات من الشرق))[٦٥]. وكان سعد الدين الشاذلي قد أصر على استدعاء الرئيس كما يذكر بعد أن نصحه بعض مساعديه ومنهم اللواء سعيد الملحي قائد المدفعية حينما اختلف مع الوزير احمد إسماعيل في معالجة ألثغره وقال له ((إن الوضع خطير ويجب أن يحضر الرئيس للاستماع إلى وجهة نظر القادة)) وقد حاول الوزير ثنية عن رأيه لأن الوقت متأخر ليلا, لكن إصرار الشاذلي اضطره للاتصال بالرئيس[٦٦].

يقول السادات ((عندما دخلت إلى مقر القيادة وجدت الصمت الرهيب , وكان الأطباء اخبروني أن حالة احمد إسماعيل وزير الدفاع لا تؤهله كي يحمل الأعباء فهو مصاب بالسرطان ثم إن كمية (الكورتيزون) التي يتعاطاها تجعله غير قادر على التفكير السليم واتخاذ القرار))[٦٧], ولم يكن في وسع السادات أبعادة لأسباب إنسانية في تلك الظروف, ولدى وصوله إلى القاعة أخبروه أن رئيس أركان الجيش عاد من الجبهة, ويطلب ((أن نسحب قواتنا من الشرق لأن الإسرائيليين دخلوا الثغرة وان شيئاً خطيراً قد يحدث , ولابد من الانسحاب حفاظا على القاهرة)) لذلك طلب السادات حضور القادة ليستمع أليهم, لكنة أمر بعدم سحب أي عسكري أو بندقية من الضفة الشرقية وان القيادة سوف تتعامل مع الثغرة , وفي نفس الوقت أمر بعزل الشاذلي دون أن يبلغ بالقرار[٦٨].

•نتائج الحرب

بعد الفشل المصري في احتواء القوات الإسرائيلية في ثغرة الدفرسوار أزداد الضغط السياسي والعسكري على الرئيس أنور السادات الذي شعر بأن الحرب قد وصلت نهاياتها ولابد من السعي لوقف أطلاق النار[٦٩]. وعدم التفريط بالنصر الذي تحقق بعبور قناة السويس لاسيما بعد التدخل الأمريكي لصالح إسرائيل وذلك بأرسال كميات كبيرة من الأسلحة عبر جسر جوي مباشر الى تل ابيب, وفي الوقت نفسه كان (اليكس كوسيجين) رئيس وزراء الإتحاد السوفيتي يواصل زيارته للقاهرة في ١٩ تشرين اول ١٩٧٣حيث اطلع السادات على صور التقطتها الأقمار الصناعية تظهر حجم القوات الإسرائيلية التي تستعد للهجوم على الإسماعيلية ومحافظة السويس[٧٠] الأمر الذي عزز من

قناعة السادات تماما بقبول وقف أطلاق النار خصوصا بعد النصيحة التي قدمها وزير دفاعه احمد إسماعيل حين قال ((إن الانجاز المصري قد تحقق في الشرق ويجب عدم المجازفة به)) إضافة إلى خوف السادات من الإخفاق العسكري في التعامل مع ألثغره الأمر الذي سيكون له تأثير عكسي على موقف مصر في المفاوضات السياسية[٧١].

وجه الاتحاد السوفيتي الدعوة إلى هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي لزيارة موسكوا التي وصلها في العشرين من تشرين الأول ١٩٧٣, وجرى الاتفاق بين الدولتين على تقديم مشروع قرار إلى مجلس الأمن الدولي يتضمن وقف أطلاق النار خلال اثنتا عشرة ساعة من صدوره[٧٢]. وصدر قرار الأمم المتحدة رقم (٣٣٨), ودخل حيز التنفيذ في الثاني والعشرين من تشرين أول – أكتوبر وأعلنت مصر وإسرائيل موافقتها علية فيما ظلت سوريا لم تعلن موقفها الصريح لأنها لم تكن موافقة على خطوة السادات هذه, وارتماءه في أحضان الولايات المتحدة على أمل أيجاد تسوية سلمية, لكنها عادت وأعلنت موافقتها على القرار لأنها لم يعد لديها خيار آخر[٧٣].

حاولت إسرائيل كعادتها التجاوز على القرار مستغلة تفوقها الميداني باحتلال المزيد من الأراضي المصرية فهاجمت مدينة السويس لكنها فشلت بسبب المقاومة الشعبية الواسعة إضافة إلى ما قامت به الفرقة المدرعة الرابعة وقوات الصاعقة من مقاومة واضحة للتقدم الاسرائيلي, ولم تتوقف إسرائيل إلا بعد التهديد السوفيتي بالتدخل عسكريا, وهو الأمر الذي خلق توترا شديدا بين (الدولتين العظميين) في حينها فاضطرت إلى وقف أطلاق النار في ٢٤تشرين أول ١٩٧٣[٧٤].أعقبها إصدار مجلس الأمن الدولي القرار رقم (٣٣٩) في ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٣ ليؤكد قراره السابق وينص على عودة القوات المتحاربة إلى الخطوط التي كانت عليها يوم ٢٢ تشرين أول, وإنشاء قوات طوارئ دولية تابعة للأمم المتحدة حيث مارست مهامها فعليا في الثامن والعشرين من الشهر ذاته واستقرت الأوضاع على الجبهة وسط حصار الجيش الثالث المصري, وعدم عودة إسرائيل إلى الخط الذي حدده القرار لتبدأ مرحلة المفاوضات السياسية[٧٥].

لقد أفرَزَت حرب تشرين ١٩٧٣ نتائج هامة في المجالات السياسية والعسكرية والإستراتيجية, فأنها حققت لمصر هدفها في عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف وإسقاط نظرية الأمن القومي الإسرائيلية القائمة على التفوق العسكري والحرب الخاطفة وهي العقيدة التي اتبعتها خلال حروبها السابقة مع العرب[٧٦]. كما نجحت القوات العربية في كسر الجمود وتحريك قضية الصراع العربي الإسرائيلي سياسيا وعسكريا بعد أن اتفقت القوتين العظميين في عام ١٩٧٢ غلى فرض حالة من الاسترخاء في الوضع الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وهو الوضع الذي يصب في مصلحة إسرائيل التي تحتل الأراضي العربية, فكانت الحرب تمثل رفضا لمنطق فرض الأمر الواقع مهما كانت القوى التي تقف وراءه[٧٧].

●عزل سعد الدين الشاذلي

هناك اختلاف كبير بين ما يذكرُه السادات ومحمد حسنين هيكل من جهة وما يذكره الشاذلي نفسه من جهة أخرى حول الوقت الذي عزل فيه من رئاسة أركان الجيش بل ومن المؤسسة العسكرية التي أمضى فيها أربعة وثلاثين عاماً حافلة بالبطولات والمواقف التي لا يمكن لأي باحث في الشأن العسكري المصري وخاصة الصراع مع إسرائيل إلا أن يتوقف أمامها سواء كان معها أو ضدها لأنها مثلت قيمة عليا في الالتزام والنبوغ العسكري[٧٨].

لقد أكد الرئيس السادات أن الفريق سعد الدين الشاذلي عاد من الجبهة يوم ١٩ أكتوبر –تشرين أول ١٩٧٣ منهارا وطالب بسحب القوات العسكرية من الشرق, وحيث أن ذلك لم يكن ممكنا من وجهة نظر السادات فأنه رفض هذا الأجراء وأمر بعزل الفريق الشاذلي في نفس اليوم دون أن يبلغ بالقرار حتى لا يكون له تأثير على سير العمليات العسكرية[٧٩], لكن الفريق الشاذلي ينفي إقالتة في التاريخ أعلاه ويؤكد انه استمر في منصبة حتى الثالث عشر من كانون أول ١٩٧٣, ويذكر عدة مواقف جرت معه خلال هذه المدة من ١٩/١٠/ وحتى ١٣/١٢/١٩٧٣وهي مدة بقاءه في المنصب بعد الإقاله التي ذكرها السادات في كتابة البحث عن الذات[٨٠]. ففي صباح يوم ٥ تشرين أول ١٩٧٣ أجرى الصحفي (آرنولد بوشجريف) محرر مجلة نيوزويك الأمريكية حوارا مع الشاذلي إذ تكلم حول طبيعة الحرب وسير المعارك خلال عبور القناة باعتباره رئيسا لأركان الجيش المصري, وبعد نهاية اللقاء رفضت المخابرات العسكرية المصرية السماح للصحفي بإرسال نص الحوار إلى مجلته, وقامت بترجمة الحديث إلى اللغة العربية وعرضه على الوزير احمد إسماعيل الذي قام بأستدعاء سعد الشاذلـــي[٨١] ليسأله عن التصريــح وطبيعة المعلومات التي أدلى بها وأكد الشاذلي أنهُ التقى الصحفي وتحدث أليه , ونتيجة للخلافات التي يضمرها كل منهم تجاه الآخر حدث نقاش حاد وعنيف مع الوزير لأنه لابد أن يعرض الشاذلي ما يقوله على المخابرات العسكرية قبل أن يطلع الإعلاميين عليه , وكان رد الشاذلي كما هو دائما بالرفض حيث قال ((كيف اطلب من المخابرات الحربية , وهي إدارة تحت رئاستي أن تراجع ما أقول, أنا أعرف ما هو سر وما هو ليس سراً أكثر من مدير المخابرات))[٨٢].

ويبدو أن إرسال هذا الصحفي هي مكيدة للإيقاع بالفريق الشاذلي بغية التمهيد لأقالته واشترك فيها الصحفي المصري محمد حسنين هيكل الذي دفع ذلك الإعلامي لأجراء الحوار مع الشاذلي وسرب المعلومة إلى المخابرات لمتابعة هذا الحوار قبل أن ينشر خوفاً من تسريب معلومات عسكرية , وقد طلب الوزير من الفريق سعد الشاذلي إن يستدعي الصحفي بورشجريف وان يسحب ماقاله إلا أنه رفض ذلك بشده , وخرج بعد مناقشة حادة بينهما[٨٣]. والحقيقة أن الفريق سعد الشاذلي كان عسكرياً من طراز خاص يشعر بالكبرياء والاعتداد بنفسه فهو لا يتراجع أو ينكر موقفا اتخذه حتى لو كلفة ذلك الموقف ثمناً غالياً, وهو قد دفع ثمن مواقفه هذه بالفعل مرات عدة , حتى أنه رفض أن يكتب أعتذار في قصاصة صغيره للرئيس حسنى مبارك لأخلاء سبيله عام ١٩٩٢, وبقي في السجن سنة ونصف دون أن يفعل وكان ذلك بعد عودته من الجزائر التي بقي فيها معارضا سياسيا لأربعة عشر عاماً[٨٤].

حظي الفريق الشاذلي بسمعةٍ واحترام كبيرين في القوات المسلحة المصرية طيلة العقود الثلاثة إلي أمضاها في السلك العسكري منذ تخرجه من الكلية العسكرية في١/٧/١٩٤٠وحتى إقالتة في ١٣/١٢/١٩٧٣, وكان قد حصل على المؤهلات والمناصب التــي كانت تعكس مقدرته العسكريــة والسياسية على حد سواء[٨٥].

والى جانب هذا الكبرياء فأن الفريق الشاذلي يتصف بالشجاعة وحب المغامرة كما يرى العديد من زاملوه, كما أن صفة الالتزام والانضباط ظلت تلازمه منذ بواكير حياته , فعندما كان عمره عشر سنوات فقط ذهب سيراً على الأقدام لوحده إلى المدرسة حتى يعرف بالضبط توقيت المسافة من منزلة إلى المدرسة وذلك قبل يوم من الامتحان ليصل في الوقت المحدد في اليوم التالي[٨٦]. وخلال حرب أكتوبر– تشرين أول ١٩٧٣يذكر الفريق الشاذلي انه لم يذهب إلى منزلة الذي لم يكن بعيدا عن مقر العمليات في القاهرة منذ اليوم الأول من شهر أكتوبر وحتى يوم أقالته إلا مره واحده لغرض الاستحمام وعاد بعد ساعتين إلى مقر عملة وفي الثاني عشر من كانون الأول ١٩٧٣ كان

هذا اليوم يصادف عيد زواجه فقرر أن يقضي تلك الليلة مع عائلته, وقبل مغادرته مقر القيادة كانت لدية بعض الشكوك التي تدور في مخيلته حول ما يجري, لذلك حمل كل أوراقة ومذكراته الخاصة , وكان حدسه صحيحا فقد دخلت خلفه المخابرات العسكرية لتفتيش المقر لكنها لم تجد شيئا, ولم يكد الفريق الشاذلي يصل إلى منزلة حتى اتصل به الوزير احمد إسماعيل يستدعيه إلى الوزارة ليبلغه بحضور اللواء محمد الجمسي واللواء سعد مأمون بنبأ إنهاء خدمته العسكرية, وتعينه سفيرا لمصر في لندن بأمر من الرئيس أنور السادات واعتذر الشاذلي عن قبول المنصب لأنه أذا كان مكافأة من الرئيس فهو لايريدها وان كانت عقوبة فهو يفضل محاكمته , وحاول الوزير بشيء من الود أن يقنعه لأن رفضه يعني الاعتراض على قرار الرئيس لكنة أصر على موقفة حيث قال بالحرف الواحد ((أنني أصر على الرفض وأفضل أن يكون عزلا وليس نقلا إلى وزارة الخارجية وهذا اعتذار رسمي عن قبول منصب السفير))[٨٧], ولعلة من المصادفات الغريبة أن يعود الفريق الشاذلي إلى منزلة ليجد الصحفي السابق(بور شجريف) يستأذنه للقاء صحفي آخر وفعلا حضر هو وزوجته وكان أول من يعلم بنبأ إعفاء رئيس الأركان من منصبة , وفي نفس اليوم اتصل اللواء حسني مبارك للحضور إلى منزل الشاذلي, وكان مكلفا من رئيس الجمهورية لأقناعة بقبول المنصب الجديد في السفارة, وقد أبدى الفريق الشاذلي تذمره من الطريقة التي ابلغ فيها بالقرار على يد غريمة احمد إسماعيل, ولذلك رفض وساطة حسني مبارك, وهكذا انتهت حياة الفريق سعد الدين الشاذلي العسكرية في أعقاب حرب تشرين ١٩٧٣ بهذه الطريقة بعد أن ترك بصمة واضحة في تاريخ هذه الحرب سواء على مستوى التخطيط أو التنفيذ حتى وصفهُ القادة الإسرائيليين بـ (الصقر العربي) وذلك لما عرف عنه من دقة في التخطيط ومهنية في التعامل العسكري مع العدو, وقد وقف بوجه القرارات الخاطئة التي كانت تتخذ بصورة مرتجلة في القيادة العامة بأمر من السادات لأسباب سياسية مرة وشخصية مرة أخرى[٨٨].

الخاتمة

يعد سعد الدين الشاذلي بما أمتلكه من مؤهلات عسكرية ومكانة اجتماعية وما أتخذة من مواقف جريئة واحداً من أبرز العسكريين في تاريخ مصر المعاصر لماعُرف به من الجرأة والتمسك بأراءه والدفاع عنها , وكان للبيئة التي عاش فيها والمتمثله بأنتمائه لعائلة شغل أغلب أفرادها مناصب عسكرية وأجتماعية ومارست العمل السياسي دوراً في توجهه ورغبته في الأنخراط في سلك الجيش والانتماء للمؤسسة العسكرية في مرحلة كانت فيها الحركة الوطنية تتشكل إلى جانب المؤسسة العسكرية للتخلص من الهيمنة البريطانية على مقدرات مصر خاصة أبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

وقد أظهر البحث حالة من الصراع الشخصي بين سعد الدين الشاذلي والرئيس السادات امتدت آثارها حتى ألقت بظلالها على طبيعة أدارة المعركة في عام ١٩٧٣ وأدت إلى اختلاف سياسي كان من نتائجه تمسك كل طرف بآرائه بعيدا عن المصلحة العليا للبلاد , وأن كان كل طرف يدعي أن موقفه بدافع من حرصه الوطني غير أن مسار الأحداث كشف عن خلفيات ذلك الصراع ودوافعه الشخصية.مما دفع الرئيس إلى أعفاء سعد الشاذلي وأبعادة عن القوات المسلحة.

●الهوامش

- مصطفى عبيد , سعد الشاذلي العسكري الأبيض , الرواق للنشر والتوزيع , ط١, القاهرة , ٢٠١٢ , ص٢٦
- المصدر نفسه , ص٢٨
- سوسن أبو حسين , سعد الدين الشاذلي ـ قصتي مع النظام , , مدبولي الصغير, ط٤, القاهرة , ٢٠١١, ص١١٧
- سليمان مظهر , قصة الصراع بين السادات ورجال عبد الناصر, مكتبة مدبولي , القاهرة , ١٩٧٧, ص٢٣
- المصدر نفسه , ص٤٩
- محمد حسنين هيكل , خريف الغضب (قصة بداية ونهاية عصر السادات) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط٢, بيروت , ٢٠٠٩
- سري للغاية , برنامج على قناة الجزيرة الفضائية تضمن حوار مع الفريق سعد الشاذلي حول حرب أكتوبر في ١/١١/٢٠١٢
- سعد الدين الشاذلي , حرب أكتوبر ١٩٧٣ , رؤية للنشر والتوزيع , ط٣ , القاهرة , ٢٠١٣
- مجلة ألف باء (بغداد) العدد ١٥٩ , السنة الرابعة , آب ١٩٧١ , ص٧
- عاطف السيد , من سيناء إلى كامب ديفيد ١٩٦٧-١٩٧٩,(د . م) , القاهرة , ١٩٨٨ , ص٦٦
- جمال حماد , المعارك الحربية على الجبهة المصرية , دار الشروق , ط١ , القاهرة , ٢٠٠٢, ص٢٧
- المصدر نفسه , ص٢٨
- ملف رقم ١٨٧, الوثيقة رقم –آ- ٢/٣٣/٢٠٠ , أرشيف وزارة الخارجية العراقية , بغداد في ٨/٢/١٩٨٦ ,ص٤
- هذه الخطة طرأت عليها عدة تغيرات حسب تطور وكفاءة القوات المصرية حتى عدلت ثلاث مرات وهي الخطة التي أطلق عليها أسم الخطة بدر بعد توحيد الجبهتين السورية والمصرية , انظر , جمال حماد , المعارك الحربية على الجبهة المصرية , مصدر سابق , ص٣٦
- عادل حامد الجادر وعزيز عبد المهدي ردام , فلسطين والغزو الصهيوني , مطبعة جامعة بغداد , بغداد , ١٩٨٤ , ص٣٦١
- يوسف محمد عيدان الجبـوري , التغيرات السياسية الداخلية في مصر ١٩٨١-١٩٧٠ دراسة تاريخية , رسالة ماجستير (غير منشوره) كلية التربية , جامعة الموصل , ٢٠٠٤, ص٥٠-٥١
- المصدر نفسه , ص٥٣
- حمال حماد , المصدر السابق , ص٤٧
- تعد هذه الخطة أول خطة هجوميه محدودة الأهداف إذ تضمنت عبور قناة السويس وتدمير الاستحكامات الإسرائيلية واحتلال مسافة بعمق ١٢ إلى ١٥ كم شرقها والاحتماء بمظلة الصواريخ الأمر الذي يمكن القوات المصرية من تفادي القوة الجوية الإسرائيلية المتفوقة في هذا الجانب على أن تتم فيما دراسة إمكانية تطوير الخطة إلى مرحلة ثانية تشمل تحرير كامل سيناء , انظر , سعد الدين الشاذلي , حرب أكتوبر , مصدر سابق , ٢٦
- المصدر نفسه , ص٤٩
- سمي الخط بذلك الاسم نسبة إلى الجنرال حاييم بارليف ، وقد تكلف بناؤه ٥٠٠ مليون دولار. وهو عباره عن سلسلة من التحصينات الدفاعية التي كانت تمتد على طول الساحل الشرقي لقناة السويس وقد بني من قبل إسرائيل بعد

استيلائها على سيناء بعد حرب ١٩٦٧، كان الهدف الأساسي من بناء الخط هو تأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور أي قوات مصرية خلالها.انظر , http://ar.wikipedia.org

- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٧٦
- عبد العظيم رمضان , حرب أكتوبر في محكمة التاريخ , هيئـة مهرجان القراءة للجميع , القاهرة , ١٩٩٥, ص٧٩
- جمال حماد , المصدر السابق , ص٤٢
- محمد حسنين هيكل , اكتوبر٧٣ السلاح والسياسة , مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر, القاهرة , ١٩٩٣, ص٢٨٤
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٢٢٢
- المصدر نفسه , ص٢٣
- عبد العظيم رمضان , حرب أكتوبر في محكمة التاريخ , المصدر السابق , ص٧٥
- جمال حماد , المصدر السابق , ص٦٨
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٣٦٧
- Howerd Blum , The eve of Destruction the untold Story of the Yom Kippur War ,New York ,٢٠٠٨,p١٠٨
  - لجنة أجرانات هي لجنة تم تكوينها في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣ للتحقيق في القصور الذي تصرف به الجيش الإسرائيلي خلال حرب أكتوبر وخلصت اللجنة – في تقارير وسيطة قبل إصدار تقريرها النهائي إلى أن أسباب الفشل تعود إلى الاعتقاد بأن مصر لن تهاجم دون أن تكون متفوقه من ناحية القوات الجوية و إلى الاعتقاد الآخر بافتقار الجبهة السورية للحافز للقتال معه المصريين و كذا الاعتقاد بإن مناورات الجيش المصري لا تعتبر إستعدادًا للحرب,انظر Howerd Blum,op.cit,p١١٨
  - ايلي زاعيرا , (مذكرات) حرب يوم الغفران , ترجمة توحيد مجدي , المكتبة الثقافية , بيروت , ط١, ١٩٩٦, ص١٢٨
  - غفار جبار جاسم الجنابي , السياسة الأمريكية تجاه مصر١٩٧٠– ١٩٧٣, رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية التربية , جامعة تكريت , ٢٠٠٣,ص١٠٩
  - المصدر نفسه , ص١١٠
  - جمال حمدان , ٦ أكتوبر في الأستراتيجية العامة , عالم الكتب , القاهرة , (د . ت) ص٧٢
- Andrew.mc .Gregory , MILITARY HISTORY OF MODERN EGYPT From the Ottoman Conquest to the Ramadan War ,Connecticut • London,٢٠٠٦,p٢٧٩
  - محمود فوزي , مبارك والضربة الجوية فـي أكتوبر, دار النشر هاتبيية , القاهرة ,١٩٩٣, ص٦٨
  - محمد حسنين هيكل , الطريق إلى رمضان , ترجمة يوسف الصباغ , دار النهار للنشر , بيروت , ١٩٧٥, ص١٢١
  - جمال حمدان , المصدر السابق , ص١٢٠
  - كروان إبراهيم , الحرب في مرآة الصحافة العالمية , مجلة الدستور الولية ,العدد ٣٥ , بيروت , ١٩٧٤ , ص٨٣–٨٤

- جمال حماد , المصدر السابق , ص٢٢٤
- المصدر نفسه , ص٢٢٥
- باتريك سيل , الأسد –الصراع على الشرق الأوسط , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط١٠ , بيروت , ٢٠٠٧, ص٣٤٠
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٠٧
- محمد حسنين هيكل , أكتوبر السلاح والسياسة , المصدر السابق , ص٤٤٦
- جمال حماد , المصدر السابق , ص٢٧٣
- محمد حسنين هيكل , أكتوبر السلاح والسياسة , المصدر السابق , ص٤٤٧
- محمد عبد الغني الجمسي , (مذكرات)حرب أكتوبر ١٩٧٣ , الهيأة المصرية العامة للكتاب , ط٢ , القاهرة , ١٩٩٨ , ص٤١٥
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤١٢
- عبد العظيم رمضان , المصدر السابق , ص١٣٥
- حسام سويلم , ثغرة الدفرسوار , الأسباب والنتائج , مجلة السياسة الدولية , العدد ١٣٤ , القاهرة , ١٩٩٨ , ص١٨١
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤١
- أمين هويدي , الفرص الضائعة والقرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ط١, بيروت , ١٩٩٢, ص٤٤٠
- حسام سويلم , المصدر السابق , ص١٨٢
- محمد حسنين هيكل , الطريق إلى رمضان , المصدر السابق , ص١٣١
- عمرو أللبشي , اختراق– كشف الستار عن اخطر الأسرار, دار الشروق , القاهرة , ٢٠٠٣, ص١٢٨
- انو السادات , البحث عن الذات , المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر , ط١ , القاهرة , ١٩٧٨, ص٢٧٣
- محمد حسنين هيكل , الطريق إلى رمضان , المصدر السابق , ص١٣٦
- سمير الجمل , الكبرياء أيام سعد الشاذلي , دار الجمهورية للصحافة , ط١ , القاهرة , ٢٠١٢ , ص١٢٣
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤١٨
- أمين هويدي , المصدر السابق , ص٤٤٢
- أنور السادات , المصدر السابق , ص٢٧٤
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٣٥
- أنيس منصور , من أوراق السادات , ط٤ , دار المعارف , القاهرة , ٢٠١٠, ص٣٦٨
- مصطفى عبيد , المصدر السابق , ص١٢٥
- صباح ياسر لفتة , أنور السادات دراسة تاريخية , دار الحوراء للطباعة والنشر , بابل , ٢٠٠٩ , ص٢٦٤
- محمد حسنين هيكل , خريف الغضب , المصدر السابق , ص١٦٧
- عبد العظيم رمضان , المصدر السابق , ص١٤٦

- محمد حسنين هيكل , خريف الغضب , ص١٦٨
- صوت مجلس الأمن الدولي على القرار(٣٣٨) بأربعة عشر صوتاً من أصل خمسة عشر بعد امتناع الصين عن التصويت ونص على وقف أطلاق النار .
- باتريك سيل , المصدر السابق , ص١٥٤
- المصدر نفسه , ص١٥٧
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٦٣
- احمد الدجاني,الإطار التاريخي لثورة ٢٣ يوليو /تموز, م. د. و, ط١, دار المستقبل, (د.م) ,١٩٨٧ , ص١٨
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٦٧
- مجلة ألف باء (بغداد) العدد ٢٧٦ , السنة السادسة في ١٩/١٢/١٩٧٣, ص٧
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٦٨
- المصدر نفسه , ص٤٦٩
- المصدر نفسه , ص٤٧١
- محمد الجوادي , مذكرات قادة العسكرية ألمصريه ١٩٧٣– النصر الوحيد , دار الخيال , ط١, القاهرة , ٢٠٠٠ , ص٢٣٠
- سمير الجمل , المصدر السابق , ص١٩١
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٦٧
- مصطفى عبيد , المصدر السابق , ص١٩١
- المصدر نفسه , ص١٩٣
- سعد الدين الشاذلي , المصدر السابق , ص٤٦٧
- المصدر نفسه , ص٤٦٨
- صحيفة الجمهورية (بغداد) العدد ١٨٩١ في ١٤/ ١٢/ ١٩٧٣
- **المصادر**

- وزارة الخارجية العراقية , ملف رقم ١٨٧ , الوثيقة رقم –أ– ٢/٣٣/٢٠٠ في ٨/٢/١٩٨٦ أرشيف وزارة الخارجية , بغداد
- غفار جبار جاسم الجنابي , السياسة الأمريكية تجاه مصر ١٩٧٠– ١٩٧٣, رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية التربية , جامعة تكريت , ٢٠٠٣
- يوسف محمد عيدان الجبـوري , التغيرات السياسية الداخلية في مصر ١٩٨١–١٩٧٠ دراسة تاريخية , رسالة ماجستير(غير منشوره) كلية التربية , جامعة الموصل , ٢٠٠٤
- احمد الدجاني , الإطار التاريخي لثورة ٢٣ يوليو /تموز , م. د. و, دار المستقبل , ط١ , (د.م) ,١٩٨٧
- أمين هويدي , الفرص الضائعة والقرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف وأكتوبر , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ط١, بيروت , ١٩٩٢

- انو السادات , البحث عن الذات , المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر , ط١ , القاهرة , ١٩٧٨,
- أنيس منصور , من أوراق السادات, دار المعارف , ط٤ , القاهرة , ٢٠١٠
- ايلي زاعيرا , (مذكرات) حرب يوم الغفران , ترجمة توحيد مجدي , المكتبة الثقافية , ط ١ , بيروت , ١٩٩٦
- باتريك سيل , الأسد –الصراع على الشرق الأوسط , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط١٠ , بيروت , ٢٠٠٧
- جمال حماد , المعارك الحربية على الجبهة المصرية , دار الشروق , ط١ , القاهرة , ٢٠٠٢
- جمال حمدان , ٦ أكتوبر في الاستراتيجيه العامة , عالم الكتاب , القاهرة , (د. ت)
- حسام سويلم , ثغرة الدفرسوار , الأسباب والنتائج , مجلة السياسة الدولية , العدد ١٣٤ , القاهرة , ١٩٩٨
- سعد الدين الشاذلي , حرب أكتوبر ١٩٧٣ , رؤية للنشر والتوزيع , ط٣ , القاهرة , ٢٠١٣
- سليمان مظهر , قصة الصراع بين السادات ورجال عبد الناصر, مكتبة مدبولي , القاهرة , ١٩٧٧
- سمير الجمل , الكبرياء أيام سعد الشاذلي , دار الجمهورية للصحافة , ط١ , القاهرة , ٢٠١٢
- سوسن أبو حسين , سعد الدين الشاذلي ـ قصتي مع النظام , , مدبولي الصغير, ط٤ , القاهرة , ٢٠١١
- صباح ياسر لفتة , انور السادات دراسة تاريخية , دار الحوراء للطباعة والنشر , بابل , ٢٠٠٩ ,
- عادل حامد الجادر وعزيز عبد المهدي ردام, فلسطين والغزو الصهيوني, مطبعة جامعة بغداد , بغداد , ١٩٨٤
- عاطف السيد , من سيناء إلى كامب ديفيد ١٩٦٧–١٩٧٩,(د . م) , القاهرة , ١٩٨٨
- عبد العظيم رمضان , حرب أكتوبر في محكمة التاريخ , هيئـة مهرجان القراءة للجميع , القاهرة , ١٩٩٥
- عمرو أللبثي , اختراق– كشف الستار عن اخطر الأسرار, دار الشروق , القاهرة , ٢٠٠٣
- كروان أبراهيم , الحرب في مرآة الصحافة العالمية , مجلة الدستور الولية ,العدد ٣٥ , بيروت , ١٩٧٤
- محمد الجوادي , مذكرات قادة العسكرية ألمصريه ١٩٧٣– النصر الوحيد , دار الخيال , ط١, القاهرة , ٢٠٠٠
- محمد حسنين هيكل , الطريق إلى رمضان , ترجمة يوسف الصباغ , دار النهار للنشر , بيروت , ١٩٧٥
- محمد حسنين هيكل , اكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة , مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر, القاهرة , ١٩٩٣
- محمد حسنين هيكل , خريف الغضب (قصة بداية ونهاية عصر السادات) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط٢, بيروت , ٢٠٠٩
- محمد عبد الغني الجمسي, (مذكرات)حرب أكتوبر ١٩٧٣, الهيأة المصرية العامة للكتاب, ط٢ , القاهرة , ١٩٩٨
- محمود فوزي , مبارك والضربة الجوية فـــي أكتوبر, دار النشر هاتبيية , القاهرة ,١٩٩٣
- مصطفى عبيد , سعد الشاذلي العسكري الأبيض , , ط١, الرواق للنشر والتوزيع , القاهرة , ٢٠١٢ ,

الصحف والمجلات واللقاءات التلفزيزنية

- مجلة ألف باء (بغداد) العدد ٢٧٦ , السنة السادسة في ١٩/١٢/١٩٧٣
- مجلة ألف باء (بغداد) العدد ١٥٩ , السنه الرابعة , آب ١٩٧١
- صحيفة الجمهورية (بغداد) العدد ١٨٩١ في ١٤/ ١٢/ ١٩٧٣
- سري للغاية , برنامج على قناة الجزيرة الفضائية تضمن حوار مع الفريق سعد الشاذلي حول حرب أكتوبر في ١/١١/٢٠١٢

المصادر الأجنبية

- Howerd Blum , the eve of destruction the untold story of the yom kippur war ,new York ,٢٠٠٨
- Andrew.mc. Gregory , MILITARY HISTORY OF MODERN EGYPT From the Ottoman Conquest to the Ramadan War, Connecticut • London,٢٠٠٦